جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

السنة الأولى ماستر(لسانيات عامة). السنة الجامعية: 2023/2022
التخصص: لسانيات عامة. السداسي الأول.
مادة: أعلام البحث في التراث العربي. أستاذ المادة: أ. د. محمد بن يحي.

المحاضرة التاسعة: ابن جني (320 هـ – 392 هـ).

1- التعريف بابن جني[1]: هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، كان أبوه مولى روميا. ولد حوالي سنة 320هـ. أكب على دروس أحمد بن محمد الموصلي النحوي مواطنه. وأغلب الظن أنه نزل بغداد مبكرا، ففي تصانيفه يتردد ذكر بعض تلاميذ المبرد، مثل: محمد بن سلمة. وبعض تلاميذ ثعلب، مثل ابن مقسم.

عاد إلى الموصل، وأخذ درس للطلاب في مسجدها، وهو في أثناء ذلك يتعرض للأعراب الفصحاء ويأخذ عنهم، مثل أبي عبد الله الشجري الذي يتردد ذكره في الخصائص.

حدث أن مر بحلقته في سنة 337 هـ أبو علي الفارسي إمام النحاة في عصره، فأعجبه ذكاؤه، وتعجب من قعوده للدرس والإملاء قبل نضجه، فقال له: "زَبَّبْتَ وأنتَ حِصْرِم"، أي: لقد أصبحت زبيبا وأنت ما تزال حِصْرِما، فكانت تلك الكلمة دافعا له لاستكمال أداته، فلزم أبا عليّ الفارسي أربعين سنة، متنقلا معه في رحلاته. ويبدو أثر الفارسي واضحا في تكوين ابن جنّي اللغوي، فمن يقرأ كتابه "الخصائص" يحس أن مادة علمه مستمدة من أستاذه.

ولم يقف ابن جني عند آراء أستاذه أبي علي الفارسي يرددها، وإنما أضاف إليها من عقله الخصب؛ مما جعله إماما في التصريف والنحو، ومما أهّله لخلافة أستاذه.

تعرف في بلاط سيف الدولة الحمداني على المتنبي، ونشأت بينهما صداقة، فشرح ديوانه، حتى إذا توفي رثاه رثاء رائعا بقصيدة أثبتها القفطي في إنباه الرواة، ويقول في مطلعها:

غاضَ القَريضُ وَزالَتْ نُضْرَةُ الأَدَبِ***وَصَوَّحَتْ بَعْدَ رِيٍّ رَوْضَةُ الكُتُبِ

خلف أستاذه في التدريس ببغداد بعد وفاته، وظل يؤلّف ويصنّف حتى توفي سنة 392هـ.

- **تصانيفه**: صنف ابن جني كثرا من الكتب، بلغت نحو خمسين كتابا، ومنها:

كتاب "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها"، و"اللمع في العربية"، و"المنصف (شرح كتاب التصريف للمازني)"، والفَسْر (شرح ديوان المتنبي)،و"كتاب العروض"، و"سرّ صناعة الإعراب"، و"الخصائص".

- **شهادة العلماء له**: كان المتنبي (ت: 354 هـ) يقول في ابن جني: «هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس»[2].

كما قال أيضا: «ابن جني أعرَف بشعري مني»[3].

---

[1] ينظر ترجمته في: القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1986، 2/ 335. ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د ط)، 1978، 246/3. والسيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط1، 1965، 132/2.

[2] السيوطي، بغية الوعاة، 132/2.

[3] الفيروزآبادي، البلغة في تاريخ أئمة اللغة، تح: بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1، 2001، ص115.

وقال علي بن الحسين الباخَرزي (ت: 467 ه): «ليس لأحد من أئمة الأدب في فتْح المُقْفَلات وشرح المُشكلات ما له؛ فقد وقع عليها من ثمرات الأَعراب، ولاسيما في علم الإعراب»[1].

وقال فيه السيوطي (ت: 911 ه): «من أحذق أهل الأدب، وأعلمهم بالنحو والتصريف، وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو...»[2].

- **اتجاهه النّحوي:** يعدّ ابن جني بغدادي المذهب؛ فقد اتبع نحاة بغداد في القرن الرابع الهجري نهجا جديدا في دراساتهم ومصنفاتهم النحوية، وهو منهج يقوم على الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والكوفية جميعا. وكان من أهم ما هيأ لظهور هذا الاتجاه الجديد أن أوائل هؤلاء النحاة تتلمذوا للمبرّد وثعلب، وبذلك نشأ جيل من النحاة يحمل آراء مدرستيهما، ويعنى بالتعمق في مصنفات أصحابهما والخلوص من خلال ذلك إلى كثير من الآراء النحوية الجديدة.

ومن أهم من يتمثل الجيل الأول من البغداديين أبو الحسن بن كيسان(ت:299ه)، وأبو بكر بن شُقَيْر (ت: 315ه)، وأبو بكر بن الخياط (ت: 320ه). وقد اتضحت معالم المدرسة البغدادية مع أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جنّي اللذين يعدّان من أعلام جيلها الثاني[3].

2-**السماع والقياس**: كان ابن جني يسند آراءه دائما بقراءات القرآن والسماع عن العرب، وقد يستشهد بالحديث النبوي، لا للاستنباط ووضع القواعد، وإنما للاستئناس[4].

وقد تطرّق إلى تعارض السماع والقياس أحيانا، وكان يقدّم الأول على الثاني، حيث يقول: «واعلم أنك إذا أدَّاك القياس إلى شيء ما، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياسٍ غيره، فدَعْ ما كنت عليه إلى ما هم عليه»[5].

وردّ ابن جني على إنكار استشهاد سيبويه على تسكين المضارع في الضرورة الشعرية بقول امرئ القيس:

فَاليومَ أَشْرَبْ غَيرَ مُسْتَحْقِبٍ***إِثْمًا مِنَ اللهِ وَلا وَاغِلِ[6]

حيث إن المبرّد روى البيت "فاليومَ أُسْقَى"[7]، وقال: ليست هذه هي الرواية الصحيحة للبيت (يعني رواية سيبويه)، إنما روايته الصحيحة هي: "فَاليَوْمْ فَاشْرَبْ"[8]. قال ابن جني: «اعتراض أبي العباس في هذا الموضع إنما هو رَدٌّ للرواية، وتحكّم على السماع بالشهوة مجرّدة من النَّصَفَة، ونفسَه ظلم، لا من جعله خصمه»[9].

---

[1] الباخرزي، دمية القصر وعُصْرة أهل العصر، تح: محمد التونجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، 1481/3.

[2] السيوطي، بغية الوعاة، 132/2.

[3] شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1983، ص245-246.

[4] نفسه، ص276.

[5] ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، (د ط)، (د ت)، 1/ 125.

[6] سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1972،4/ 204.

[7] المبرد، الكامل، تح: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1992، 318/1.

[8] البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997، 484/4.

[9] ابن جني، الخصائص، 1/ 75.

وكان ابن جني مثل أستاذه أبي عليّ الفارسي يعنى بالقياس عناية شديدة، حتى ليمكن أن يقال: إن كتابه الخصائص إنما هو مجموعة كبيرة من الأقيسة السديدة. وبلغ من عنايته بالقياس أنه كان يقول: «...وذلك أن مسألة واحدة من القياس، أنبل وأنبه من كتابٍ لغةٍ عند عيون الناس»[1].

وقد عقد ابن جني في الجزء الأول من كتابه "الخصائص" فصلا لبيان أن **ما قيس على كلام العرب، فهو من كلامهم، وإن لم ينطقوا به**[2]. واتسع في ثنايا مصنفاته في صور التدريب على الأقيسة، ومن يرجع إلى كتابه "المنصف" في شرح كتاب التصريف للمازني، وكتابه "الخصائص" يجدهما زاخرين بتمارين لغوية من صنعه.

3- <u>مو افقته البصريين</u>: كان ابن جني يوافق البصريين في مسائل كثيرة، ومنها:

- المصدر أصل والفعل مأخوذ منه[3].
- رافع المبتدأ هو الابتداء[4].
- المضارع منصوب بعد "حتى" بأن مضمرة وجوبا[5]. وكذلك بعد "أو"، و"فاء" السببية و"واو" المعية، نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾[طه/61]؛ «وذلك أنهم عوضوا من "أَنْ" الناصبة حرف العطف»[6].
- العامل في باب التنازع هو الفعل الثاني؛ لأنه الأقرب[7].
- علة بناء الاسم تضمنه معنى الحرف أو وقوعه موقعه[8].
- الإعراب أصل في الأسماء فرع في الأفعال، وإنما أعرب المضارع لشبهه باسم الفاعل[9].

4- <u>مو افقته الكوفيين</u>: وكما أنه وافق البصريين في كثير من المسائل، فإنه أيضا أخذ بوجهة النظر الكوفية في مسائل مختلفة، ومن ذلك:

- **<u>إعمال "إنْ" النافية عمل "ليس":</u>** وهو في ذلك يتبع رأي أستاذه الفارسي والكوفيين، غير أنه لاحظ أن إعمالها يشوبه شيء من الضعف، يقول تعليقا على قراءة سعيد بن جبير الآية الكريمة: ((**إِنِ** الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ **عِبَادًا** أَمْثَالَكُمْ)): «ينبغي -والله أعلم- أن تكون "إِنْ" هذه بمنزلة "ما"، فكأنه قال: ما الذين تدعون من دون الله

---

[1] ابن جني، الخصائص، 2/ 88.

[2] ينظر: نفسه، 1/ 109 وما بعدها.

[3] نفسه،1/ 113. وينظر، ابن جني، المنصف، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم وزارة المعارف، القاهرة، ط1، 1954 :1/ 65.

[4] ابن جني، الخصائص، 1/ 166.

[5] نفسه، 3/260- 261.

[6] نفسه، 1/ 263.

[7] نفسه، 2/ 209.

[8] نفسه، 3/ 50.

[9] ينظر: نفسه،1/ 63.

عبادا أمثالكم، فأعمل "إنْ" إعمال "ما" (العاملة عمل ليس) وفيه ضعف؛ لأن "إنْ" هذه لم تختص بنفي الحاضر اختصاص "ما" به، فتجري مجرى ليس في العمل»[1].

- **مجيء فعل دون فاعل:** كان الكسائي يجيز وجود الفعل دون فاعل، على في مثل: قام وقعد عمرو؛ إذ ذهب إلى أن "عمرو" فاعل قعد، وقام لا فاعل له. ويقول ابن جني: إن "قَلَّما يقومُ زيدٌ" دخلت فيه "ما" على "قلّ" كافة لها عن عملها، ومثله: كَثُرَما وطالَما [2].

- **عودة الضمير على متأخر:** تابع ابن جني الكوفيين في جواز: "ضربَ غلامُه زيدًا"؛ لمجيء ذلك في كلام العرب، مثل قول النابغة:

جَزَى رَبُّهُ عَنّي عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ***جَزَاءَ الكِلَابِ العَاوِيَاتِ، وَقَدْ فَعَلْ

وكان الجمهور يمنع ذلك لعود الضمير المتصل بالفاعل على متأخر لفظا ورتبة، بينما رأى ابن جني بأنه على نية التقديم. قال: «فكأنه قال: جَزَى عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ رَبُّهُ، ثمّ قدّم الفاعل على أنه قد قدّره مُقدّما عليه مفعوله، فجاز ذلك»[3].

5- آراؤه النحوية واللغوية: لابن جني آراء اجتهادية كثيرة انفرد بها عن أستاذه وعن المدرستين: البصرية والكوفية، ومنها:

- **العلة:** أفاض ابن جني في بيان العلل النحوية، منكرا تقسيم ابن السراج وتلميذه الزّجّاجي لها إلى علل أولى وثوانٍ وثوالث، ذاهبا إلى أن العلل الأخيرة تتميم للعلل الأولى، وليس هناك علة للعلة، ولا علّة لعلة العلة[4].

- **العامل:** عرض لعوامل الإعراب في الكلم، حيث إن النحاة قسموها إلى معنوي، مثل: الابتداء، ولفظي، مثل: عمل المبتدأ في الخبر. وذهب ابن جني إلى أن العامل الحقيقي في إعراب الكلم إنما هو المتكلم؛ فهو الذي يرفع، وينصب، ويخفض، ويجزم[5].

- **تجويزه تقديم المفعول معه على المعمول قبله:** فيقال: **وثيابَ** الصّوفِ جاء البَرْدُ؛ ذلك أن صورة واو المعية صورة الواو العاطفة، وأنها تُستعمل في موضعها، فتقول: جاء البردُ **وثيابَ** الصوف، ولو شئت لرفعتَ ثياب عطفا على البرد، أي: جاء البردُ وجاءت ثيابُ الصوف[6].

- **الفصل بين المضاف والمضاف إليه:** كان الفراء يضعّف قراءة ابن عامر: ((وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ)) بالفصل بين المضاف وهو "قتْلُ"، والمضاف إليه وهو "شُرَكائِهم" بالمفعول به "أوْلادَهُمْ"، وأنه أنكر البيت الذي أنشده الأخفش: وهو قول بعض الشعراء في وصف ناقته:

فَزَجَجْتُهَا بِمِزَجَّةٍ***زَجَّ **القَلوصَ** أَبي مِزَادَه

---

[1] ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي ناصف وآخرين، دار سزكين، اسطمبول، ط2، 1986، 1/ 270.

[2] ابن جني، الخصائص، 1/ 167- 168.

[3] نفسه،1/ 297. وينظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د ط)، 1992، 1/ 230.

[4] ابن جني، الخصائص، 1/ 173.

[5] نفسه، 1/ 109 – 110.

[6] نفسه، 2/ 383.

وقد خالفه في ذلك جمهور الكوفيين، مجوّزين الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به[1]، وانتصر لهم ابن جني محتجا بقدرة الشاعر على أن يقول: "زَجَّ القَلوصِ أَبُو مِزادَه"، يقول: «في هذا البيت عندي دليل على قوة إضافة المصدر إلى الفاعل عندهم، وأنه في نفوسهم أقوى من إضافته إلى المفعول...ومن ذلك قراءة ابن عامر: ((وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قَتْلُ أَوْلادَهُم شَرَكائِهِم))...»[2].

- **العامل في الخبر:** ذهب ابن جني إلى أن العامل في الخبر هو الابتداء والمبتدأ معا، وبذلك سوّغ تقدمه على المبتدأ في مثل: شاعرٌ محمدٌ؛ لأنه إنما تقدم على أحد عاملي الرفع فيه وهو المبتدأ، يقول: «فأمّا خبر المبتدأ، فلم يتقدّم عندنا على رافعه؛ لأن رافعه ليس المبتدأ وحده، إنما الرافع له (المبتدأ والابتداء) جميعا ، فلم يتقدّم الخبر عليهما معا ، وإنما تقدّم على أحدهما وهو المبتدأ» [3].

- **عمل "لا" العاملة عمل "ليس" في المعارف:** كان الجمهور يذهب إلى أن "لا" العاملة عمل "ليس" لا تعمل إلا في النكرات، وذهب إلى أنها تعمل أيضا في المعارف؛ لقول النابغة:

وَحَلَّتْ سَوادَ القَلْبِ، **لَا أَنا** باغِيًا***سِواها، وَلا عَنْ حُبِّها مُتَراخِيا[4]

- **ما ينوب عن عامل يعمل عمله:** ومن ذلك "أَمَّا"، فإنه يرى أنها تعمل الرفع والنصب فيما يتلوها؛ لأنها عوض عن الفعل، في قول بعض الشعراء:

أَبا خِراشَةَ **أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ*****فَإِنَّ قَوْمي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

"أي: لئن كُنْتَ ذَا نَفَرٍ قَويتَ وشَدّدْتَ. والضَّبُعُ هنا السَّنَةُ الشَّديدة"[5].

وجعله ذلك يضع قاعدة عامة كانت مصدر خلاف بينه وبين أستاذه في بعض المسائل، وهي أن ما ينوب عن شيء يعمل عمله، فـ "ما" في "أَمَّا" المكونة من "أَنْ" المصدرية و"ما" الزائدة عملت؛ لنيابتها مناب "كان" الرفع والنصب فيما تلاها. وينبغي طرد ذلك في الصور المماثلة، فمن ذلك أن أستاذه أبا علي الفارسي كان يذهب إلى أن العامل في المعطوف في مثل: "جاء محمدٌ وعليٌّ" عامل مقدر من جنس العامل في المعطوف عليه، وذهب ابن جني إلى أن حرف العطف نفسه هو العامل لنيابته مناب العامل المحذوف[6].

- **الجر بالجوار:** كان سيبويه يذهب إلى أن كلمة "خَرِب" في قولهم: "هَذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ" مجرورة على الجوار لضبّ؛ لأنه كان ينبغي أن ترفع؛ إذ هي صفة لجُحْرٍ. وقال ابن جني: بل هي مجرورة على الأصل؛ إذ أصل التعبير: "هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ جُحْرُه"، فحُذف المضاف وأُنيب المضاف إليه في "جحره" وهو الضمير، فارتفع واستتر في "خَرِبٍ"، فهو صفة لجحر على تقدير حذف المضاف[7]، وهو تأويل بعيد.

---

[1] السيوطي، همع الهوامع،4/ 294.

[2] ابن جني، الخصائص، 2/ 406 وما بعدها.

[3] نفسه، 2/ 385.

[4] ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، (د ط)، 1991، 1/ 267.

[5] ابن جني، الخصائص، 2/ 381.

[6] ينظر: نفسه، 2/ 387.

[7] نفسه،1/ 192.

- **اشتقاق الأفعال من الأسماء:** من آرائه الطريفة أنّ الأفعال قد تُشتق من أسماء الأعيان، وقوله: إننا لو اشتققنا فعلا من سَفَرْجَل، لقلنا: سَفْرَجَ يُسَفْرِجُ سَفْرَجَةً، فهو مُسَفْرِج[1].

- **الاشتقاق أصل ظهور اللغات:** من طريف ما هدته إليه بصيرته النافذة أن الأصل في ظهور اللغات إنما هو اشتقاق كلماتها من الأصوات المسموعة، يقول في كتابه الخصائص: «وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدويّ الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشَحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونَزيب الظّبي، ونحو ذلك. ثم وُلدت اللغات عن ذلك فيما بعد. وهذا عندي وجه صالح ومذهب مُتقبَّل»[2].

- **تثبيته قانون الاشتقاق الأكبر**: وذلك بالتقاليب الستة للأصل الثلاثي لأي كلمة، وبيان أنه يجمعها هي ومشتقاتها معنى واحد. والحق أن الخليل قد سبقه في ذلك؛ إذ بنى معجم "العين" على تقليب الأصل الثلاثي للكلمة في صوره الست، ولكنه لم يفكر في أنها هي واشتقاقاتها يمكن أن يجمعها معنى واحد. وقد اعترف في فاتحة حديثه عنه بأن الفارسي كان يستعين به، ولكنه لم يحاول تسميته ولا تأصيله وتطبيقه، إنما هو الذي نهض بذلك، فهو الذي سماه، وهو الذي جسمه في أمثلة مختلفة، منها: "ك ل م" وتقليباتها ومشتقاتها: وقد أرجعها إلى معنى القوة والشدة، وأرجع "ق ول" وتقليباتها ومشتقاتها إلى معنى الإسراع والخفة، كما أرجع تقليب "ج ب ر" إلى معنى الشدة والقوة، ومثلها مشتقاتها، وأرجع تقليب "ق س و" ومشتقاتها إلى معنى القوة والاجتماع، كما أرجع تقليب "س ل م" ومشتقاتها إلى معنى الإصحاب والملاينة[3].

وتوقف في كتابه "المحتسب" ليطبق ذلك على "ح ج ر" وتقليبها ومشتقاتها؛ مبينا أنها تعود جميعا إلى الشدة والضيق والاجتماع[4]. كما توقف أيضا عند "ج د ل"وأوضح أن وتقليباتها ومشتقاتها تعود إلى القوة[5].

- **التضمين:** عني ابن جني بالتضمين، وهو إشراب لفظ معنى لفظ آخر، فإن كان فعلا أو مصدرا أُعطي حكمه، فعُدّي بما يُعدّى إليه. قال ابن هشام: «قد يشربون لفظا معنى لفظ فيعطونه حكمه، ويسمى ذلك تضمينا. وفائدته: أن تؤدِّيَ كلمةٌ مؤدَّى كلمتين»[6].

وأشار ابن جني إلى أن سيبويه، والكسائي، وأبا علي الفارسي قد لاحظوا ذلك في بعض الأمثلة[7]، ولكنه هو الذي كشفه وأوضحه في أمثلة كثيرة. يقول: «اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدّى بحرف، والآخر بآخر، فإن العرب قد تتّسع، فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه؛ إيذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر؛ فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه. وذلك كقول الله عز اسمه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ **الرَّفَثُ إِلَى** نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة/187]، وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة، وإنما تقول: رفثت بها، أو معها؛ لكنه لمّا كان الرّفث هنا في

---

[1] ابن جني، المنصف،1/ 33.

[2] ابن جني، الخصائص، 1/ 46- 47.

[3] ينظر:نفسه،2/ 133 وما بعدها.

[4] ابن جني،المحتسب، 1/ 232.

[5] نفسه، 1/ 321.

[6] ابن هشام، مغني اللبيب، 791/2.

[7] ابن جني، الخصائص، 2/ 311.

معنى الإفضاء، وكنت تُعدّي أفضيت ب (إلى) كقولك: أفضيت إلى المرأة، جئت بـ (إلى) مع الرفث؛ إيذانا وإشعارا أنه بمعناه»[1]. فالرفث يتعدى بالباء غير أنه ضُمِّن في الآية معنى الإفضاء؛ ولذلك يتعدى بـ "إلى" كما يتعدى بها الإفضاء.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران/52]، أي: مع الله؛ لأنه في معنى من يُضاف في نصرتي إلى الله؛ فجاز لذلك أن تأتى هنا "إلى"[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾[النازعات/ 18]،فقد وُضعت "إلى" موضع "في"؛ لأن ما قبلها في معنى: أدعوك وأرشدك[3]، أي: إن الأصل أن يُقال: هل لك في أن تزكّى، فلما كانت "هل لك" بمعنى أدعوك وأرشدك، استعمل "إلى".

قد **يتضمن فعل متعدٍّ معنى فعل لازم** كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور/6]، فإنّ الفعل "خالف" يتعدّى بنفسه، وعُدّي في الآية الكريمة بـ "عن"؛ لتضمّنه معنى الابتعاد والخروج والانحراف؛ فأفاد المعنيين معا؛ أي: فَلْيحذر الذين يُخالفون أمرَه ويبتعدون (يحيدون/ينحرفون) عن أمره[4].

وقد **يتضمّن فعل لازم معنى فعل متعدّ**، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ [البقرة/235]، فالفعل "عَزَمَ" لازم، ولكنه في الآية تعدّى إلى مفعول به "عُقدة"؛ لتضمنه معنى "نوى"، أي: لا تعزموا ولا تَنْووا عقدة النكاح[5].

وقد **يكون في المصادر**، وذلك بذكر فعل ثم المجيء بمصدر لفعل آخر يشاركه في الاشتقاق، كقوله تعالى في السيدة مريم عليها السلام: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران/37]، فقد جاء بالفعل "أَنْبَتَ"، وهو فعل متعدّ مصدره "إنبات"، ثم جاء بالمصدر (المفعول المطلق) من فعل آخر يشترك معه في الاشتقاق "نباتا" من الفعل اللازم "نبت". فكأنه قال: فأنْبَتَها إنباتا حسنا، فَنَبَتَتْ نباتا حسنا، أي إنها طاوعته في الفعل. وفي ذلك إثبات الفضيلة للسيدة مريم عليها السلام، ولو قال: أنبتها إنباتا حسنا، لما كان لها من فضيلة؛ لأن الإنبات كان من الله تعالى.

وقال ابن جني في التضمين: «ووجدت في اللغة من هذا الفنّ شيئا كثيرا لا يكاد يُحاط به؛ ولعلّه لو جمع أكثره (لا جميعه) لجاء كتابا ضخما؛ وقد عرفت طريقه. فإذا مرّ بك شيء منه فتقبّله وأنس به؛ فإنه فصل من العربية لطيف، حسن يدعو إلى الأنس بها والفقاهة فيها»[6].

---

[1] ابن جني، الخصائص، 2/ 308.

[2] نفسه،2/ 309.

[3] نفسه،2/ 309-310.

[4] فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2000، 14/3.

[5] نفسه، 15/3.

[6] ابن جني، الخصائص، 210/2.

- **<u>دلالة الأصوات على المعاني</u>**: كان ابن جنّي يؤمن إيمانا راسخا بدلالة الأصوات على المعاني؛ فقد عقد في كتابه " الخصائص" ثلاثةَ أبوابٍ محاولاً إثباتَ هذه النظرية، وهي: "باب في تصاقب* الألفاظ لتصاقب المعاني"[1]، و"باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني"[2]، و "باب في قوة اللفظ لقوة المعنى"[3].

ومما ورد في "باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني" قوله: «اعلم أن هذا موضع شريف لطيف. وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه، وتلقّته الجماعة بالقبول له ، والاعتراف بصحّته.

قال الخليل: كأنهم توهّموا في صوت الجُنْدُب استطالة ومَدّا فقالوا: صرّ، وتوهّموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: صرصر.

وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفَعَلان: إنها تأتى للاضطراب والحركة؛ نحو النَّقَزان، والغَلَيان، والغَثَيان. فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال.

ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حدّاه، ومنهاج ما مثّلاه[4].

- **<u>تشبيه الجهاز الصوتي بالآلة الموسيقية</u>:** شبه ابن جني الجهاز الصوتي بآلتي الناي والعود، وشبّه كيفية صدور الصوت من جهاز النّطق بكيفية حدوث الأنغام الصادرة من هاتين الآلتين.

فقد شبه الحلق والفم بالمزمار، وشبّه مخارج الأصوات ومدارجها بفتحات المزمار، مركّزا على مجرى الهواء في الفم عند إحداث الأصوات، حيث يشبهه بمراوحة الزامر أنامله على خروق الناي لسماع الأصوات المتنوعة بحسب تغييره لوضع أنامله على فتحتات المزمار. يقول: «فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملسَ ساذجا...فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المَنْسوقة[5]، وراوح بين أنامله، اختلفت الأصوات، وسُمِع لكل خَرْقٍ منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم، باعتماد على جهات مختلفة، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة»[6].

وعقّب على هذا التمثيل في إحداث الصوت بتشبيهه بوتر العود، وكيفية الضرب عليه؛ مما يحدث أصواتا مختلفة تتلقاها الأذن، فتتذوق جوهر الصوت، كما تتذوقه في أصوات الحروف، تبعا للرِّقّة والصلابة في الوتر، وكذلك الحال بالنسبة للوترين الصوتيين في الجهاز الصوتي عند الإنسان، يقول:

«و نظير ذلك أيضا وتر العود، فإن الضارب إذا ضربه وهو مُرْسَلٌ سمعت له صوتا، فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يُسراه، أدى صوتا آخر ، فإن أدناها قليلا، سمعت غير الاثنين، ثم كذلك كلما أدنى أُصبُعه من أول الوتر تشكّلت لك أصداء مختلفة، إلا أن الصوت الذي يؤديه الوترُ غُفْلا غير محصور ، تجده بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصور ، أملسَ مهتزا ، ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر وصلابته ، وضعفه ورخاوته ، فالوتر في هذا التمثيل كالحلق، والخَفْقَة بالمضراب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق، وجريان الصوت فيه غُفْلا غير محصور

---

* التصاقب: التقارب.

[1] ابن جني، الخصائص، 145/2.

[2] نفسه،152/2.

[3] ابن جني، الخصائص، 263/3.

[4] نفسه، 152/2-153.

[5] المنسوقة: المتتابعة على نظام، ويقال: ناسق بين الأمرين أي تابع بينها ولاءم ونسقه: نظمه.

[6] ابن جني سر صناعة الإعراب، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، 21/1 – 22.

كجريان الصوت في الألف الساكنة، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يَعرِض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا»[1].

6-<u>التعريفات</u>: حذق ابن جني بوضع الحدود والتعريفات، ومن تعريفاته ما تزال متداولة إلى يومنا هذا.

- **<u>تعريف اللغة</u>**: «أمّا حدُّها، فإنها أصواتٌ يُعبِّرُ بها كلُّ قَوْم عن أغراضهم»[2].

- <u>تعريف النحو</u>:«هو انتحاء سَمْت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره؛ كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك؛ ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطقَ بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها»[3].

- **<u>الإعراب</u>:**«هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ»؛ وبيّنه بقوله: «ألا ترى أنك إذا سمعتَ أكرم سعيد أباه، وشكر سعيدًا أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شَرْجًا[4] واحدًا، لاستبهم أحدهما من صاحبه»[5].

- **<u>البناء</u>:** «وهو لزوم آخر الكلمة ضربًا واحدًا: من السكون أو الحركة، لا لشيء أحدث ذلك من العوامل». ثم علّل تسميته، بقوله: «وكأنهم إنما سموه بناء؛ لأنه لما لزم ضربًا واحدًا فلم يتغير تغير الإعراب سُمِّي بناء، من حيث كان البناء لازمًا موضعه، لا يزول من مكان إلى غيره»[6].

- **<u>الصوت والحرف</u>:** «اعلم أن الصوت عَرَضٌ يخرج مع النَّفَس مستطيلا متصلا، حتى يَعْرِضَ له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عَرضَ له حرفا»[7].

- **<u>الجهر والهمس</u>:** «فمعنى المجهور: أنه حرف أُشْبِع الاعتمادُ في موضعه، ومُنِعَ النَّفَسُ أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد، ويجري الصوت...وأما المهموس: فحرف أُضْعِفَ الاعتمادُ في موضعه، حتى جرى معه النَّفَسُ، وأنت تعتبر ذلك بأنه قد يمكنك تكرير الحرف مع جَرْيِ الصوت نحو: سَسَسَ كَكَكَكَ هَهَهَهَ، ولو تكلفت مثل ذلك في المجهور لما أمكنك»[8].

ولعله مما سبق تتضح لنا إمامة ابن جني في علوم اللغة العربية: أصواتها، وصرفها، ونحوها؛ إذ ما يزال الدرس اللغوي المعاصر يعتمد على كثير من تعريفاته وآرائه اللغوية.

<u>قائمة المصادر والمراجع:</u>

*** القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

1- الباخَرْزي (علي بن الحسين. ت: 467 هـ)، **دمية القصر وعُصْرة أهل العصر**، تح: محمد التونجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993.

---

[1] ابن جني سر صناعة الإعراب، 22/1.

[2] ابن جني، الخصائص،1/ 33.

[3] نفسه،1/ 34.

[4] شرْج: نوع.

[5] ابن جني، الخصائص، 1/ 35.

[6] نفسه، 1/ 37.

[7] ابن جني، سر صناعة الإعراب، 19/1.

[8] نفسه، 75/1.

2- **البغدادي** (عبد القادر بن عمر. ت: 1093 ه)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997.

3- **ابن جني** (أبو الفتح عثمان. ت: 392 ه)، **الخصائص**، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، (د ط)، (د ت).

4- ـــــــــــــ، **سر صناعة الإعراب**، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.

5- ـــــــــــــ، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تح: علي النجدي ناصف وآخرين، دار سزكين، اسطمبول، ط2، 1986.

6- ـــــــــــــ، **المنصف**، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم وزارة المعارف، القاهرة، ط1، 1954.

7- **ابن خلكان** (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. ت: 681 ه)، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د ط)، 1978.

8- **السامرائي** (فاضل)، **معاني النحو**، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2000.

9- **سيبويه** (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. ت: 180ه)، **الكتاب**، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1972.

10- **السيوطي** (جلال الدين عبد الرحمن. ت: 911 ه)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط1، 1965.

11- ـــــــــــــ، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د ط)، 1992.

12- **ضيف** (شوقي)، **المدارس النحوية**، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1983.

13- **الفيروزآبادي** (محمد ابن يعقوب. ت: 817 ه)، **البلغة في تاريخ أئمة اللغة**، تح: بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1، 2001.

14- **القفطي** (أبو الحسن علي بن يوسف. ت: 646 ه)، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1986.

15- **المبرد** (أبو العباس محمد بن يزيد. ت: 285 ه)، **الكامل**، تح: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1992.

16- **ابن هشام الأنصاري** (أبو محمد عبد الله جمال الدين. ت: 761ه)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، (د ط) 1991.